

م/ الاستعارة

احتلت الاستعارة مكانة مهمة في الدرس البلاغي العربي، إذ لا توجد صيغة بلاغية استأثرت باهتمام العرب القدامى كالاستعارة، وكانت موضع نقاش ودراسة لديهم، وقد ظهرت الاستعارة في الشعر العربي إلى جانب الفنون البلاغية الأخرى من تشبيهه ومجاز وكناية.

تعريف الاستعارة:

إن كلمة الاستعارة لغة مأخوذة من قولهم " استعار المال: طلبه، وقد وضع السكاكي حداً راسخاً للاستعارة لم تخرج عن مداه حتى أيامنا هذه فأصبحت تعرف بأنها: " هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بأثباتك للمشبه ما يخص المشبه به".

اركان الاستعارة:

إن للاستعارة في تعريفاتها المختلفة أربعة اركان:

١- المستعار منه، وهو المشبه به

٢- المستعار له، وهو المشبه

٣- المستعار: وهو اللفظ المنقول والمستعمل فيما لم يعرف به من معنى

٤- القرينة اللفظية أو المعنوية التي تمنع أن يكون المقصود بالاستعارة معناها الذي ورد به المستعار منه.

مثال// في قوله تعالى ((حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ))، ففي الآية الكريمة نجد ان: المستعار منه التي لا تجيء بولد، كلمة عقيم مستعارة، المستعار له هو إن ذلك اليوم لم يأت بمنفعة ولم يبق خيراً حين مر، القرينة معنوية ذلك ان العقم من صفات المرأة.

اقسام الاستعارة:

لقد قسم البلاغيون المتأخرون الاستعارة إلى اقسام كثيرة استهلها عبد القاهر الجرجاني بتقسيمها على أساس الإفادة الى استعارة مفيدة واستعارة غير مفيدة، ويريد بالمفيدة ما كان لنقلها فائدة، ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في النقل، وقسمت باعتبار ما يذكر إلى استعارة تصرّحية واستعارة مكنية وباعتبار تحقيق المستعار له حسا وعقلاً وعدم تحقيقه إلى استعارة حقيقية واستعارة تخيلية وصنفت باعتبار اللفظ المستعار إلى استعارة اصلية وتبعية تصرّحية وتبعية مكنية اذا كان المستعار اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً وباعتبار ما يتصل بها من الملائمات وعدم اتصالها إلى استعارة مطلقة ومرشحة ومجردة.

١- الاستعارة التصريحية

التصريح في اللغة مصدر من الفعل صرح بكذا إذا اظهره، واصطلاحاً يأتي صفة لأحد ضربى الاستعارة وهو الاستعارة التصريحية التي حدها البلاغيون بقولهم: الاستعارة التصريحية هي ما صرح بلفظ المشبه به دون المشبه، وقد تسمى هذه الاستعارة مصرحة أو حقيقية ولفظ المصرحة من مادة التصريح ويدل على ان المستعار مذكور ومنصوص عليه.

مثال // قوله تعالى: ((الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)) سورة إبراهيم، في الآية الكريمة نجد أن (الظلمات) لا تدل على معناها الحقيقي الذي هو زوال ضوء الشمس تماماً وإنما دلت على معنى (مجازي) آخر يفهم من سياق الكلام وهو الظلال والكفر، وكذلك في مثل ذلك كلمة (النور) فهي لا تدل على معناها الحقيقي بل هي تدل على معنى غير الذي وضعت له في الأصل وهو الهدى والإيمان، فالمشبه به موجود والمشبه محذوف فهي استعارة تصريحية، ومنه قوله تعالى: ((اهدنا الصراط المستقيم))

وقسم المتأخرون الاستعارة التصريحية باعتبار طرفيها – المستعار والمستعار له – أو المشبه والمشبه به إلى قسمين:

١- الاستعارة التصريحية الوفاقية: وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي، مثل اجتماع الحياة والهداية في كلمة "أحيا" التي جاءت في قوله تعالى ((أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ)) فالمراد فأحييناه هديناه أي أو من كان ضالاً فهديناه والهداية والحياة لا شك في اجتماعهما في شيء.

٢- الاستعارة التصريحية العنادية: وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيها كاجتماع الموت والضلال كما في الآية السابقة ((أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ)) أي ضالاً فهديناه وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

٢- الاستعارة المكنية: المكنية لغةً واصطلاحاً: المكنية في اللغة اسم مفعول من الفعل كنى بمعنى أخفى وستر، واصطلاحاً هي صفة مميزة للضرب الثاني من الاستعارة الذي سماه القزويني الاستعارة بالكناية أيضاً وحده قائلاً: " قد يضمن التشبيه في النقص فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية، أو مكنياً عنها، واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية، لقد اعتمد المعاصرون حد القزويني للاستعارة المكنية وتحليله لشواهد، فاستخلصوا تعريفاً قوامه حذف طرف المشبه به من التشبيه مؤكداً أن الاستعارة المكنية أو بالكناية: " هي التي اختلفت فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه"، ومنه قوله تعالى ((وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ)). ففي الآية الكريمة المستعار منه هو الإنسان والمستعار له هو الصبح ووجه الشبه هو حركة الإنسان وخروج النور وفي السياق القرآني نجد أن المشبه مذكور وهو الصبح والمشبه به محذوف وهو الإنسان وهذه الاستعارة مكنية، ومنه قوله تعالى ((وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)).

غرض الاستعارة المكنية:

ان النصوص التي جرت بالاستعارة المكنية قد اعتمدها أداة فنية لتحقيق أحد غرضين حسب طبيعة المشبه به المحذوف ولازمه المثبت للمشبه:

١- أول هذين الغرضين هو تجسيد الأمور المعنوية و ابرازها للحس في كيان مادي ملموس من ذلك قوله تعالى ((وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا))، فالذل في الآية الكريمة يتجسد في هيئة ماله جناح خفيض ويبرز للعيان في أضعف صورة ارتضاه الله للولد تعبراً عن الطاعة.

٢- ثاني الغرضين هو التشخيص، ومنه قوله تعالى ((وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ)) سورة الرحمن.

٣- الاستعارة التمثيلية:

يتخذ مبحث الاستعارة التمثيلية مقومات موضوعية بالموازنة مع الاستعارة المفردة التي تقع في غير الصورة المركبة من متعدد والمنتزعة من أمور هيئة، وقد تعددت في كتب البلاغة المصطلحات الدالة عليه فذكر منها القزويني المجاز المركب والتمثيل حد الاستعارة التمثيلية عند القدماء والمعاصرين هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه ومنه قوله تعالى ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)) كونوا جميعاً مستمسكين بكتاب الله وبدينه وبعهوده، ولا تتفرقوا بل عليكم أن تجتمعوا على طاعة الله وأن تكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وبذلك تفوزون ففي الآية الكريمة استعارة تمثيلية بين الحالة الحاصلة من تمسك المؤمنين بدينه وبكتابه وبعهوده وبوحدة كلمتهم، بالحالة الحاصلة من تمسك جماعة بحبل وثيق مأمون الانقطاع ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو نحوهما .

ومن الشواهد على الاستعارة التمثيلية قول الشاعر:

ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّياحُ بما لا تَسْتَهِي السَّفنُ

فقد شبه الشاعر حال من أمل أمراً ولم يصل إليه بحال السفينة التي تؤمل رياحاً تساعدتها على السير في الاتجاه الذي يريد إلا أن الرياح جاءت على غير ما تشتهي والجامع بين المشبه والمشبه به هو عدم تحقيق الرغبة، أما القرينة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي مفهومه من السياق فالسفن لا تشتهي وإنما من صعد عليها.

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة: يعتمد تقسيم هذا النوع من الاستعارة باعتبار الملائم وتقسيم إلى مرشحة، ومجردة ومطلقة:

١- **الاستعارة المرشحة:** وهي ما ذكر معها ما يلائم المستعار منه ، ومنه قوله تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ))، ففي الآية الكريمة استعارة تصريحية في لفظ (اشترؤا) بالاستبدال وإذا تأملنا الاستعارة رأينا أنه ذكر معها شيء يلائم المشبه به (الشراء) في (فما ربحت تجارتهم) ومن اجل ذلك تسمى استعارة مرشحة

٢- **الاستعارة المجردة:** وهي ما ذكر معها ملائم المستعار له ومنه قوله تعالى: ((فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)) فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس فأصابها الله بلباس الجوع والخوف.

٣- **الاستعارة المطلقة:** وهي الاستعارة التي لا يذكر فيها ما يلائم المستعار منه ولا المستعار له، ومنه كقوله تعالى: ((رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)) فلفظ (اشتعل) مستعار والمستعار له الشيب ولم يذكر في الآية الكريمة ما يلائم المستعار منه الذي هو الاشتعال وما يلائم المستعار له الذي هو انتشار الشيء على النحو فإن الاستعارة مطلقة.

بلاغة الاستعارة وسر جمالها:

الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى، وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز

والتشبيه والاستعارة والكناية على أنها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها وتوجب الفضل والمزية، فإنهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون.

وكما يقول عبد القاهر الجرجاني أن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبدأ في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، ومن خصائص الاستعارة:

١- المبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة كقوله تعالى في الإخبار عن الظالمين ومقاومتهم لرسالة رسوله: ((وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)) فالجبال هنا استعارة طوي فيه ذكر المستعار له

٢- جمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة وإخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بالحاسة تعالياً بالمخبر عنه وتفخيماً له إذ صير بمنزلة ما يدرك ويشاهد ويعاين ومن الشواهد قوله تعالى: ((والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون)).

٣- بث الحياة والنطق في الجماد ومنح الصفات الإنسانية لغير الإنسان. مثل قولنا "ابتسم الربيع"، حيث نسبنا فعل الابتسام إلى فصل الربيع، مما يضفي عليه حيوية وجمالاً.

٤- الاستعارة تفيد في شرح المعنى وتفعل في النفس ما لا تفعله الحقيقة وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والإيجاز وتحسين المعنى وإبرازه، ثم هي إلى جانب ذلك كله طريق للتوليد والتجديد، لأنها تكشف عن صور جديدة ومعانٍ بعيدة وتساعد على توضيح المعاني المجردة وتقريبها إلى الذهن عن طريق تشبيهها بأشياء محسوسة ومألوفة.